خليل الرحمن إبراهيم

عليه السلام أبو الأنبياء

معجزات إبراهيم:

1- نجاته من نار النمرود.

2- إحياء الطير بين يديه ليرى كيف يحيى الله الموتى...

3- من دعوته خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

* * * * * * * * * * * *

إبراهيم الخليل عليه السلام

يلقب نبى الله إبراهيم عليه السلام بخليل الله وهو ثانى الأنبياء من أولى العزم، وبعد صالح لم يبعث نبى حتى بعث إبراهيم عليه السلام ولد إبراهيم فى عهد نمرود فى مدينة بابل، ووقتها كان الفساد والكفر سائدا، ونمرود كان حاكما ظالما قويا، وفى بداية سلطته قدم لأهل الكوفة وما بين النهرين وبابل خدمات أكسبته شهرة جعلته محبوبًا لدى الناس. لقد جاء نمرود بشئ جديد إضافة إلى ما كان يشترك به مع الأقوام السابقة الأخرى فى عبادة الأصنام وهذا الشىء هو إدعاؤه الربوبية وبهذا أضاف مأساة إلى ما كان يواجهه الأنبياء السابقين من مآسى. وكان نمرود مغرورا وقد بلغ غروره إلى حد كان يريد أن يشن حربا على رب السماوات والأرض، فأمر أن يصنعوا له مركبا هوائيا وقد ربط طرفاه بأرجل صقرين جائعين علقوا فوق رأسهما لحما فحلقا به إلى السماء وكان بيده قوس يريد أن يرى رب السماوات بسهام قوسه حسب ما هداه جهله وغروره. ومن هنا يبدو جهل نمرود بحيث لم يسمع كلام الأنبياء بدقة، لقد سمع منهم أن الله سبحانه وتعالى خالق كل شىء ولكنه لم يعلم بأن الله ليس بجسم ولا يرى بالعين حتى يستطيع أحد أن يحاربه.

أما إبراهيم عليه السلام فكان من الرجال الواعين فى ذلك الزمان حيث أنه عندما كان يرى الناس يعبدون الشمس والقمر والنار والأوثان المصنوعة من الطين والحجر كان يستغرب بشدة ويقول: إن الله خالق كل شىء وهو أفضل مما يعبدون وذلك لأن الشمس

والقمر يغيبان والنار تبرد والصنم جماد لا روح لـه والعجب من الناس إنهم لا يفهمون ذلك.

وقد نشأ إبراهيم فى عائلة تتكسب من نحت الأصنام، وعمه الذى كان يدعوه (أبى) كان يعمل فى معبد للأصنام وكان من المقربين من نمرود، وكان إبراهيم يسخر من الأصنام ويسفه آلهتهم مما أثار غضب عمه آذر الذى كان يعمل أيضاً فى نحت الأصنام، وعندما اصطفى إبراهيم عليه السلام نبيا ونزلت عليه الصحف شرع بتبليغ رسالته لهداية الناس وأخذ يستهزئ بالأصنام ووصل الحد إلى أن آذر الذى يدعوه بأبيه أخرجه من بيته تقربا لنمرود. وأخذ إبراهيم يزداد إصرارا يوما بعد يوم على دعوة الناس لعبادة الله وكانوا لا يستجيبون لـه إلا القليل منهم لأن نمرود كان يملك مقدرات البلاد والعباد، وكانوا يتصورون أن الأوثان إذا ما غضبت فسيكون مصيرهم أسودا. ورأى إبراهيم أنه لابد من أن يكسر طوق الخوف الذى ضُرب على الناس من القدرة الوهمية للأصنام بسلب قدسية الأصنام فى نفوس الناس، ويوماً حيث كان الناس خارجين من المدينة بمناسبة أحد الأعياد، فأخذ إبراهيم فأسا وتوجه إلى المعبد الكبير للمدينة، وبعد توكله على الله قام بتكسير كل الأصنام ما عدا الصنم الكبير حيث علق الفأس فى رقبته وعاد إلى بيته وعندما عاد الناس إلى المدينة وشاهدوا الأصنام قد كُسرت أخبروا نمرود بذلك.

فسأل نمرود: هل تعلمون من فعل ذلك بآلهتنا؟

فقالوا: لا يجرؤ أحد على هذا العمل سوى فتى يقال لـه إبـراهيم فإنـه عدو للأصـنام ويـدعو إلـى عبـادة رب لا يشـاهد بـالعين ويعتبـر نفسه نبيا وصاحب رسالة.

فأمر نمرود بإحضار إبراهيم فجـيء بـه وسـأله قـائلا: يقولـون إنك كنت الوحيد الذى بقى فى المدينة أتعلم من الذى كسر الأوثـان فأجابه إبراهيم: يقولون أن الفأس كان على عاتق الصنم الأكبر ألا يعنى أنه غضب وقام بتحطيم الأصنام؟

قال لـه نمرود: ليس بمقدور الصنم الكبير أن يفعل ذلك ولا يستطيع أن يرد الأذى عن نفسه.

أجابـه إبـراهيم: إذا كـان الصـنم الكبيـر لا قـدرة لــه علـى هذا الفعل فإن الأصغر منه أضعف منه فكيف تعبدون هذه المجسمات العاجزة عن الدفاع عن نفسها ولا تؤمنون بالله الخالق الكبير الذى يستطيع فى لحظة أن يقلب الدنيا وينشئ خلقا آخرا.

فقـال بعضـهم: الحـق مـع إبـراهيم وحـدثت فـى المدينـة ضـجة وضاق نمرود من زوال ملكه، فقال لإبراهيم: يبدو أنك أنت الذى كسـرت الأصـنام فـانتظر فسـوف أحرقـك فـى النـار لتكـون عبـرة للآخرين.

فقـال إبـراهيم: إن الـذى خلقنـى قـادر علـى أن يحفظنـى مـن حرارة النار.

قـال لــه نمـرود: عش بهذا الأمـل، وأمـر بـأن يـذهبوا بـه إلـى

السجن وأن يجمع الناس حطبا ويملأوا به مساحة أربعة فراسخ ويصنعوا منجنيقا كى يقذفوا فيه إبراهيم فى النار.

قال تعالى فى كتابه الكريم يصور هذه المشاهد:{وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإَبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لاَ تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ} (1).

وأيضا نرى القرآن فى موضع آخر يصف وضع إبراهيم بقوله:{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (2).

وجاء فى الخبر أنه خرج نمرود بن كنعان الجبار وجميع أهل مملكته فى يوم عيدهم وكره إبراهيم عليه السلام أن يخرج معهم فوكله نمرود ببيت الأصنام، فلما ذهبوا ولم يبق أحد إلا هو عمد إلى طعام فأدخله بيت أصنامهم وعرض على الأصنام الطعام فكان إبراهيم يدنيه منها واحدا بعد واحد ويقول له كل وتكلم فأخذ

(1) سورة الصافات، الآيات: 83 - 98.
(2) سورة العنكبوت، الآيتان: 16، 17.

يكسر أيديهم وأرجلهم حتى أتى على آخرهم ثم علق الفأس فى عنق كبيرهم، فلما رجع الجبار الملك نمرود ومن معه من عيدهم ونظروا إلى ما فُعل فى الأصنام من التكسير والتمثيل البشع قالوا: من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين؟ فقالوا ههنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم، ثم جيء بإبراهيم إلى نمرود فقال له نمرود من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون. ثم إن نمرود استشار قومه فى إبراهيم فقالوا له: حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين، ثم إن نمرود حبس إبراهيم عليه السلام وجمع له الحطب حتى إذا كان اليوم الذى يريد أن يلقيه فى النار برز نمرود وجنوده وكان نمرود قد بنى بناءً لنفسه كى ينظر ما يكون من أمر إبراهيم حين يلقيه فى النار وكيف تأخذه النار، وجاءه إبليس واتخذ لهم المنجنيق لأنه لم يتمكن أحد من الدنو من النار أو مقاربتها وحاروا كيف يلقوه فيها لعظمتها، وكان الطائر عن مسيرة فرسخ يحترق بها، فوضع إبراهيم فى المنجنيق وألقى فى النار، فدعى إبراهيم عليه السلام ربه بسورة الإخلاص فقال: يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد نجنى من النار برحمتك فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى النار بقوله: يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم فاضطربت أسنان إبراهيم من البرد حتى قال لها وسلاما على إبراهيم فهبط جبرائيل وجلس معه يحدثه فى النار وهما فى روضة خضراء، ونظر نمرود إلى إبراهيم عليه السلام وقال: من اتخذ إلها فليتخذ مثل إله إبراهيم

.[1]

ويوم تنفيذ الحكم أقاموا حائطا حول الحطب وأشعلوا النيران وقذفوا إبراهيم عليه السلام بالمنجنيق فى النار على مرأى ومشهد من الناس ودعا إبراهيم ربه لينجيه، فأصبحت النار بردا وسلاما وخرج منها إبراهيم سالما لم تمسسه النار وكأنه خرج من روضة واستمر فى دعوته للناس، وفى هذه المرة رأى الناس المعجزة بأم أعينهم فلانت قلوبهم ولكنهم كانوا يخافون من نمرود ويقولون: لقد أصبحت النار بردا وسلاما على إبراهيم وربما لا تكون لنا إذا ما أراد نمرود أن يحرقنا جميعا عندها ماذا نفعل؟

واستدعى نمرود إبراهيم وقال له باحترام: أيها الرجل الجليل إننى علمت أنك صادق فيما تقول ولكنى لا أتنحى عن زعامة قومى وإذا لم أستطع القضاء عليك فإنى سأعذب الآخرين ويجب أن لا ترضى بإراقة الدماء، أنا لست من الملوك الذين يسيئون لشعوبهم وإن هؤلاء لا يتبعونك، فإذا كنت لا تحب قتل الناس فارحل من أرض بابل لتهدى غيرنا فإن العالم غارق فى الضلال وهناك من يكون أضل منا، أنا مشغول بإعمار البلاد وغيرى لا يعمرون بلادهم وأنت تستطيع أن تدعوا الناس فى كل مكان وقد بذرت الآن بذور الإيمان، ألا يكفى هذا؟

فقا له إبراهيم: الآن وقد اعترفت بصدق قولى فلماذا لا تعبد الله؟

(1) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى.

فأجابه نمرود: أنا أعلم ذلك ولكن الوقت لم يحن وأخشى أن تتبعثر أمور البلاد وأحتاج إلى وقت مناسب لهذا الأمر. فهل ترغب أن تكون مكانى؟

فقال له إبراهيم: كلا أنا أريد أن أهدى الناس إلى طريق السعادة والخير.

فقال له نمرود: إذن لا تدع البلاد لأن تكون فى هرج ومرج واعمل بالتدريج، إذهب من بابل وأنا أهيئ لك الناس شيئا فشيئا وبعكسه فسوف تكون حربا وإراقة دماء وأنت لا تحب ذلك.

فهاجر إبراهيم بأمر الله بصحبة ابن أخيه لوط وزوجته سارة التى كانت ابنة عمته وجمع من المؤمنين من هاجروا إلى بلاد الشام وهناك أخذوا يدعون الناس إلى الهداية وقد آمن بهم الكثير.

قال تعالى:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} (1).

آراء المفسرين فى معنى لفظة أمة أقوالا:

قيل الأمة: معلم الخير أى كان معلما للخير يأتم به أهل الدنيا وقيل أنه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة وحده وقد ذكر الله فى هذه الآيات من صفات إبراهيم عليه السلام أوصافا حميدة منها:

(1) من الآية رقم (120 - 122) من سورة النحل.

مائلا إلى الدين القيم أى تاركا لما عداه من الأديان الباطلة ولم يكن من المشركين: هذا الوصف قد علم التزاما من قوله تعالى حنيفا وإنما ذكره ردا على المشركين حيث زعموا أنهم على ملة إبراهيم قوله شاكرا لأنعمه: أى صارفا جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله فهو معصوم عن الغفلة وعن كل شاغل يشغله عن الله تعالى ظاهرا وباطنا.

اجتباه: أى اختاره من دون خلقه وهذا الوصف وما بعده ناشئ من الله خاصة لم يكن له فيه كسب إشارة إلى ما نشأ عنه من الأخلاق الحميدة والأفعال الجميلة باختيار الله له لا بنفسه.

قوله: إلى صراط مستقيم، أى دين قويم لا اعوجاج منه [1].

كان [2] إبراهيم عليه السلام هو هذا العبد الربانى الذى استحق أن يتخذه الله خليلا وتلك درجة من درجات الأنبياء لا تعرف مقدارها ولا يحدثنا القرآن الكريم عن ميلاده أو طفولته ولا يتوقف عند عصره صراحة ولكنه يرسم صورة لجو الحياة فى أيامه فتدب الحياة فى عصره ونرى الناس انقسموا ثلاث فئات:

فئة تعبد الأصنام والتماثيل الخشبية والحجرية.

وفئة تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر.

وفئة تعبد الملوك والحكام.

(1) تفسير ابن جرير الطبرى: ط دار الفكر بيروت.
(2) تفسير ابن جرير الطبرى: ط دار الفكر بيروت، أنبياء الله: أحمد بهجت، ط الريان بشىء من التصرف.

وفى هذا الجو الملىء بالكفر والشرك ولد إبراهيم عليه السلام وولد عليه السلام فى أسرة من أسر ذلك الزمان. ولم يكن رب الأسرة كافرا عاديا من عبدة الأصنام بل كل كافرا يصنع بيديه تماثيل الآلهة.

قيل: إن أباه مات قبل ولادته فرباه عمه وكان له بمثابة الأب وقيل: إن أباه لم يمت وكان آذر هو والده حقا. ومهما يكن من أمر فقد ولد إبراهيم فى هذه الأسرة كانت أسرة مرموقة من الأسر الارستقراطية بتعبير زماننا.

من هذه الأسرة المقدسة ولد طفل قدر له أن يقف ضد أسرته وضد نظام مجتمعه وضد أوهام قومه وضد عبدة النجوم والكواكب وضد كل أنواع الشرك.

وكان طبيعيا أن يكون جزاؤه الإلقاء فى النار حيا كما سنبين فيما بعد إن شاء الله بشىء من التفصيل.

ولم يكن معه عليه السلام حين بدأ صراعه مع عبدة الأصنام غير إسلامه فخرج على قومه بدعوته قال بحسم غاضب وغيرة على الحق:

{... مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ}.{قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ}.{قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ}.{قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ}.{قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ} (1).

(1) الآيات (25 - 53، 54، 55، 56) من سورة الأنبياء.

انتهى [1] الأمر وبدأ الصراع بين إبراهيم وقومه وكان أشدهم غضبا هو أبوه أو عمه الذى رباه كأب وانتهى الأمر بينه وبين أبيه بأن طرد إبراهيم من بيته كما أسفر عن تهديده رميا بالحجارة وخرج إبراهيم من بيت أبيه هجر قومه وما يعبدون من دون الله.

وقرر فى نفسه أمرا وكان يعرف أن هناك احتفالا عظيما يقام على الضفة الأخرى من النهر وينصرف الناس جميعا إليه. فخرج إبراهيم حذرا لكى يحطم تلك التماثيل فذهب إلى المعبد ومعه فأس حادة.

اقترب من تمثال لأحد الآلهة وسأله فى سخرية وكان أمام هذا التمثال طعام وضعه القوم لـه - أى التمثال لقد برد الطعام أمامك... لماذا لا تأكل.

وظل التمثال صامتا جامدا وسأل إبراهيم عددا من التماثيل حوله (ألا تأكلون) كان يسخر منهم وعاد يسأل التماثيل (ما لكم لا تنطقون وبدأ يحطم هذه التماثيل بفأسه إلا تمثالا واحدا علق الفأس فى رقبته فلما رجع القوم من احتفالهم ودخلوا المعبد فاكتشفوا أن الآلهة قد تحطمت ما عدا واحدا وبدأوا يفكرون فيمن يكون مرتكب هذه الفعلة [2].

{قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَـهُ إِبْرَاهِيمُ} [3].

(1) أنبياء الله: أحمد بهجت، ط الريان بشىء من التصرف.
(2) أنبياء الله: أحمد بهجت، بتصرف
(3) من الآية رقم (60) من سورة الأنبياء.

أحضروا إبراهيم على الفور وسألوه{... أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ}[1] قال لهم إبرهيم وهو يشير إلى كبير الآلهة الذى علق الفأس برقبته{...بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ} [2].

فقالوا له: أنت تعرف أنها لا تنطق فقال لهم إبراهيم: كيف تعبدون شيئا لا ينفع ولا ينطق لقد علقت الفأس فى عنق كبير الآلهة فلم يقل لماذا فعلت هذا إنه لا يسمع ولا ينطق ولا يتحرك.

ألزمهم إبراهيم عليه السلام الحجة وأسكتهم بالبرهان فقرروا إعدامه حرقا فى النار.

معجزة نجاة إبراهيم عليه السلام من النار:

قال الله تعالى:{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ}[3].

والقائل ذلك: هو النمرود بن كنعان. وقيل رجل من أكراد فارس اسمه هينوب خسف الله به الأرض والحكمة فى اختيارهم الحرق بالنار على غيره من أنواع القتل أن إبراهيم عليه السلام بادأهم بالفضيحة والتشنيع عليهم فأحبوا أن يجازوه بما فيه التشنيع والشهرة.

وحاصل القصة: أنه لما اجتمع النمرود وقومه لإحراق إبراهيم حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر، حتى كان الرجل يمرض

(1)من الآية رقم (62) من سورة الأنبياء
(2) من الآية رقم (63) من سورة الأنبياء.
(3) من الآية رقم (68) من سورة الأنبياء.

فيقول لئن عوفيت لأجمعن لإبراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تطلبه لئن أصابت ما تطلب لتجمع الحطب لإحراق إبراهيم فلما جمعوا ما أرادوا وأشعلوا فى كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى أن كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة حرارتها فأوقدوا عليها مدة سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم عليه السلام فى النار فلم يعلموا كيف يلقونه فقيل إن إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا إلى إبراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والأرض ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة أى ربنا خليلك يلقى فى النار وليس فى أرضك أحد يعبدك غيره فائذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى: إنه خليلى ليس لى خليل غيره وأنا الإله ليس له إله غيرى فإن استغاث بأحدكم فأغيثوه وإن لم يدع غيرى فأنا وليه وأنا أعلم به فخلوا بينى وبينه.

فلما [1] أرادوا إلقائه فى النار أتاه خازن النار وقال: إن أردت أخمدت النار وأتاه خازن الهواء وقال إن شئت طيرت النار فى الهواء فقال إبراهيم عليه السلام لا حاجة لى إليكم حسبى الله ونعم الوكيل فلما [2] رفعوه على رأس البنيان رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم أنت الواحد فى السماء وأنت الواحد فى الأرض حسبى الله ونعم الوكيل وعرض له جبريل وهو يوثق فقال: ألك حاجة يا إبراهيم؟ قال: أما إليك فلا فقذفوه فى النار فناداها الله تعالى فقال: يا نار

(1) حاشية الصاوى على الجلالين: ط الحلبى.
(2) الكامل فى التاريخ: لابن الأثير، ج1، ط دار الكتب العلمية.

كونى بردا وسلاما على إبراهيم.

وقيل: فلو لم يتبع بردها سلام لمات إبراهيم من شدة بردها فلم يبق يومئذ نار إلا طفئت ظنت أنها هى المقصودة وبعث الله الظل فى صورة إبراهيم فقعد فيها إلى جنبه يؤنسه فمكث النمرود أياما لا يشك أن النار قد أكلت إبراهيم فرأى كأنه نظر فيها وهى يحرق بعضها بعضا وإبراهيم جالس إلى جنبه رجل مثله فقال نمرود لقومه: لقد رأيت كأن إبراهيم حى ولقد شبه على ابنوا لى صرحا يشرف بى على النار فبنوا له وأشرف منه فرأى إبراهيم جالسا وإلى جانبه رجل فى صورته فناداه نمرود: يا إبراهيم إن إلهك كبير الذى بلغت قدرته وعزته أن حال بينك وبين ما أرى هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال نعم قال: أتخشى إن أقمت فيها؟ قال: لا فقام إبراهيم فخرج منها فلما خرج قال له: يا إبراهيم من الرجل الذى رأيت معك مثل صورتك؟

قال: ذلك ملك الظل أرسله إلى ربى ليؤانسنى قال نمرود: إنى مقرب إلى إلهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته وما صنع بك حين أبيت إلا عبادته فقال إبراهيم: إذا لا يقبل الله منك ما كنت على شىء من دينك فقال: يا إبراهيم لا أستطيع ترك ملكى.

وآمن مع إبراهيم رجال من قومه حين رأوا هذه المعجزة العظيمة [1].

قال الإمام الرازى: كانت مدة مكث إبراهيم عليه السلام فى النار

(1) المرجع السابق.

أربعين يوما. ويروى أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما وضع فى النار قال: ما كنت قط أياما أنعم منى فى الأيام التى كنت فيها فى النار.

وفاة إبراهيم عليه السلام وما قيل فى عمره:

ذكر ابن جرير فى تاريخه أن مولده فى زمن النمرود بن كنعان وهو فيما قيل: الضحاك الملك المشهور الذى يقال إنه ملك ألف سنة وكان فى غاية الغشم والظلم. وذكروا [1] أنه طلع نجم أخفى ضوء الشمس والقمر فهال ذلك أهل ذلك الزمان وفزع النمرود فجمع الكهنة والمنجمين وسألهم عن ذلك فقالوا: يولد مولود فى زمانك يكون زوال ملكك على يديه فأمر عند ذلك بمنع الرجال عن النساء وأن يقتل المولودون من ذلك فكان مولد إبراهيم الخليل فى ذلك الحين فحماه الله عليه السلام وصانه من كيد الكفار الفجار وشب شبابا باهرا وأنبته الله نباتا حسنا حتى كان من أمره ما تقدم وقد روى [2] ابن عساكر عن غير واحد من السلف عن أخبار أهل الكتاب فى صفة مجىء ملك الموت إلى إبراهيم عليه السلام أخبارا كثيرة الله أعلم بصحتها.

وقد قيل: أنه مات فجأة والذى ذكره أهل الكتاب وغيرهم خلاف ذلك قالوا: ثم مرض إبراهيم عليه السلام ومات عن مائة وخمس وسبعين سنة وقيل: وتسعين سنة وقد ورد ما يدل أنه عاش مائتى سنة.

(1) البداية والنهاية: لابن كثير، ط دار المعرفة، بيروت.
(2) المرجع السابق.

وقال أبو حاتم بن حبان فى صحيحه: أنبأنا المفضل بن محمد الجندى بمكة، حدثنا على بن زياد اللخمى، حدثنا أبو قرة عن ابن جريج عن يحيى ابن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**اختتن إبراهيم بالقدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة**» وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وقال[1] مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: كان إبراهيم أول من أضاف الضيف، وأول الناس اختتن وأول الناس قص شاربه، وأول الناس رأى الشيب فقال يا رب ما هذا**!!؟** فقال الله تعالى: وقار فقال: يا رب زدنى وقارا وزاد غيرهما وأول من لبس السراويل.

وروى ابن عساكر بسنده إلى وهب بن منبه قال: وجد عند قبر إبراهيم الخليل على حجر كتابة فيها:

إلهى جهولا أمله ::: يموت من جاء أجله
ومن دنا من حتفه ::: لم تغن عنه حيله
وكيف يبقى آخر ::: من مات عنه أوله
والمرء لا يصحبه ::: فى القبر إلا عمله

* * * * * * * * * *

(1) البداية والنهاية: لابن كثير، ط دار المعرفة، بيروت.